

## «إلى» الجارة ولطائفها في القرآن الكريم

بهنوش اصغرى<sup>١</sup>، الدكتور محمد فاضلي<sup>٢</sup>، الدكتورة كبرى روشنفكر<sup>٣</sup>

### الملخص

أدى استعمال الحروف الجارة مع الأفعال إلى مناقشات طويلة و كان محور النقاش، يدور حول هذا السؤال: هل يختص كل قبيل من هذه الأفعال بقبيل من هذه الحروف و لا يتجاوزها إلى غيره؟ أم يمكن لهذه الأفعال أن تقبل أكثر من حرف حسب المعنى، و تسمح للحرف أن تتداخل فتشارك بعضها بعضاً في مضامة الفعل الواحد حسب ما يتطلبه السياق؟ فامتدت المناقشات الى البحوث القرآنية للكشف عن خصائص الأسلوب القرآني من الناحية اللغوية، والأسلوبية، و طرق التعبير وصولاً إلى سرّ بلاغة القرآن الكريم، و فهم إعجازها، و أثره في النفس البشرية. الاحصاء القرآني للمعاني المستعملة لـ «إلى» يدل على أنّها استعملت ٧٠٢ مرة منها في معناها الاصلية لانتهاه الغاية، و ١٠ مرات في المعية، ٢١ مرة في الاختصاص، ٤ مرات في التبيين و ٥ مرات في الظرفية و مرتين في اللصاق و مرتين في الاستعلاء و مرة واحدة استعملت زائداً. يتبين من هذه الدراسة، مستفيداً من الكتب العديدة، أن الحروف لأستعمل في القرآن بعضها بدل الأخرى. و اقتصرنا في هذه المقالة على أهم اللطائف التي أفادها (إلى) من الحروف الجارة في الآيات القرآنية، فمنها ما يتعلق بسرّ مخالفة الاستخدام بين (إلى) و غيرها، و أسرارها البلاغية بتعديتها لبعض الأفعال، و بيان تداخل بعضها في بعض.

المفردات الرئيسية: القرآن الكريم، الحروف الجارة، إلى

### المقدمة

اختص النحاة في معظم كتبهم، قسماً مميّزاً بالحروف الجارة ذاكين بعض الشواهد القرآنية لمعانيها. ثم هناك تفاسير أدبية اهتمت بها في القرآن الكريم دون التفصيل و التحليل و دون ذكر الاسباب للإستعمالات العديدة لها، كتفسير الكشاف للزمخشري و في ظلال القرآن لسيد قطب و التحرير و التنوير لابن عاشور.

تطلق الحرف في اللغة على معان متعددة أهمها: الناحية و ناحية كل شيء طرفه و شفيره وحده. (ابن منظور، ذيل مادة (ح ر ف) و تعريف سيبويه للحرف يعد أول تعريف موثق به وصل إلينا، فالحرف عنده: «ما جاء لمعنى و ليس باسم و لافعل». (سيبويه، ١٢/١). و الحروف الجارة من الحروف التي أدى استعمالها مع الأفعال إلى مناقشات طويلة و كان محور النقاش، هل يختص كل قبيل من هذه الأفعال بقبيل من هذه الحروف و لا يتجاوزها إلى غيره؟ أم يمكن لهذه الأفعال أن تقبل أكثر من حرف حسب المعنى، و تسمح للحرف أن تتداخل فيشارك بعضها بعضاً للفعل الواحد حسب ما يتطلبه السياق. (ابن عيش، ٨/٨). اختلفت آراء النحويين و البلاغيين في هذا الباب. فالنحويون يرون المفتاح في التضمين و البلاغيون قائلون باستعارة تبعية في هذه الاستعمالات.

behnossh.asghari@yahoo.com

١. طالبة الدكتوراه في فرع اللغة العربية و آدابها - جامعة (تربت مدرس)

٢. أستاذ في قسم اللغة العربية و آدابها - جامعة الفردوسي (مشهد)

٣. أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية و آدابها - جامعة (تربت مدرس)

والتضمين كما شرحه ابن جنى هو «أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر و كان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيدانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه». (ابن جنى، ٣٠٨/٢). واما الإستعارة التبعية فهي ما كان اللفظ المستعار شيئاً كالفعل أو ما يشتق منه أو الحرف. أي أن معاني الأفعال والمشتقات و الحروف ليست بسيطة بل تتشكّل من أجزاء متعددة. فهذه الأجزاء في الفعل: النسبة و الزمان و المعنى المصدرى و في المشتقات: الذات و الوصف و في الحروف: المطلق مع القيد، كالإستعلاء على الجذوع مثلاً. فإذا جاءت الإستعارة فيها جرت غالباً في بعض من تلك الأجزاء لافي جميعها، فإطلاق الإستعارة على الفعل و المشتق و الحرف الموضوعة لمجموعة تلك العناصر من باب التوسع، أو بالتبع لاستعارة جزء من مدلولها. (فاضلى، ص ٢٥٨)

### معاني (إلى)

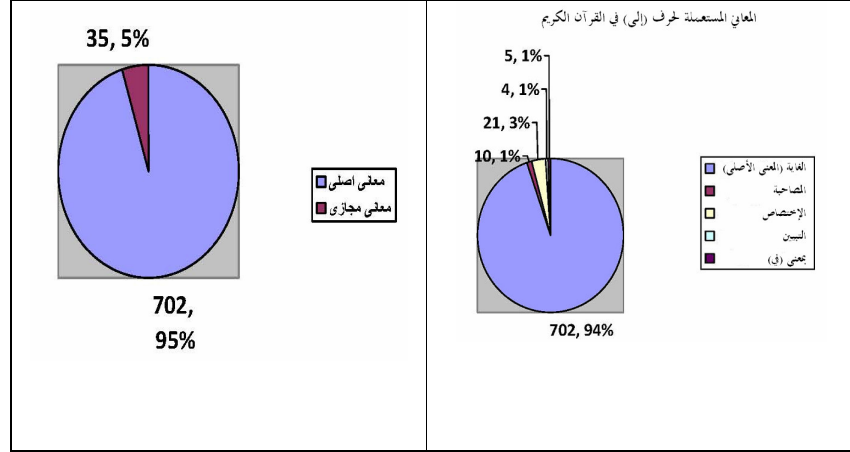
ذكر النحويون ل (إلى) معاني كثيرة، فقال أبو القاسم الزجاجي: «إلى تكون لمنتهى غاية، كقول القائل: إنما أنا إليك أي أنت غاييتي» (الزجاجي، ص ٦٥) و قال السيوطي في الأتقان: «إلى حرف جر له معان أشهرها انتهاء الغاية، زمانا نحو (أتموا الصيام الى الليل) أو مكانا نحو (الى المسجد الأقصى) و غير هما نحو: (و الأمر إليك) أي منته إليك، و لم يذكر لها الأكثرون غير هذا المعنى.» (السيوطي، ١٥٣/١).

و من النحويون من جعل لها معنى خاصاً بما لا يتعداه إلى معانٍ أخرى و منهم من آمن بالمعنى الأصلي و المعاني المتعددة لها بسبب اعتقادهم بالتبادل و التعاقب بين الحروف. فالكوفيون، و من تبعهم، يتسامحون في قبول اللغاة و يعولون على كل مسموع و لو كان قليلاً و يتعدون عن التأويل، يرون أن أحرف الجر يمكن أن تتبادل الموقع و ينوب بعضها عن بعض في إيصال معاني الأفعال إلى مفاعيلها و يستمدون ما يؤيد وجهة نظرهم هذه - بكل سهولة - من مصادر التععيد الأساسية و هي القرآن الكريم و الشعر العربي (خليفة راشد، ص ٢٠٧). بينما يتشدد البصريون - و من نهج منهجهم - في قبول ما جاء منها على شكله الظاهري بل يرفضونه أصلاً، لأنهم لا يقولون بنبائة حروف الجر و لا يرتضونها، و ما جاء منها في أسلوب لا يمكن رفضه، يرد بوجه من وجوه التأويل إلى الأصل المفترض عندهم - لاستعمال الفعل - المبني على الكثرة عادة و غالباً ما يكون بالتصرف في الفعل حتى يتوافق مع معنى الحرف و طريقة استعماله. (المصدر نفسه)

ومبعث هذا الاختلاف بين الفريقين هو نظرة كل منهم إلى ما يحمله الحرف من معنى. فالكوفيون يرون أن الحرف يدل على أكثر من معنى بينما يرى البصريون أن لكل حرف معنى حقيقياً واحداً لا يتجاوز إلى غيره، و من هنا منعوا إنابة بعض الحروف الجارة عن بعض قياساً و إن اضطروا إلى قبول ذلك - لعدم احتمالها للتأويل - كان عندهم من قبيل الشذوذ في النيابة. (المخزومي، ص ٢٨٣)

قد استعملت (إلى) ٧٤٧ مرة في القرآن الكريم فالواحدة منها استعملت زائدة والباقى (٧٤٦) التي لم تستخدم زائدة، لها دور غير التأكيد: فاستعملت ٧٠٢ مرة في معنى انتهاء الغاية أي في معناها الأصلي و ٤٤ مرة في المعنى المجازي: منها ١٠ مرات بمعنى (مع) أي المصاحبة، و ٢١ مرة بمعنى اللام أي الاختصاص و التعليل، و ٤ مرات استعملت في معنى التبيين، و ٥ مرات بمعنى (في) أي الظرفية، و مرتين بمعنى (الباء) أي الالتصاق و مرتين بمعنى (على) أي الاستعلاء. فالرسم التالي يبين النسبة المئوية لكل من معاني الى الجارة في القرآن الكريم:

- النسبة المئوية لكل من معاني «إلى» الجارة في القرآن الكريم



مواضع تداخل معنى (إلى) في المعاني الأخرى و تبيين لما فيها من اللطائف:

الاول: (إلى) مكان (في):

قد استخدمت (إلى) خمس مرات بمعنى الظرفية في القرآن الكريم و هي إحدى معانيها المجازية. ذكر أبو عبيدة أنها بمعنى (في) في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ (آل عمران، ٥٢ و الصف، ١٤) لأنه قدر (إلى الله) بـ (في ذات الله) (أبو عبيدة، ٩٤/١) و ذكر الألوسي قولاً هو أنها بمعنى (في) في قوله تعالى: ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (آل عمران، ١٢)، و معنى ذلك (أنهم يجمعون فيها) و يرى أنها على معناها الأصلي لقوله: (هي غاية حشرهم و منتهاه فـ (إلى) على معناها المتبادر. (الألوسي، ١٣٦/٣) و أورد الزركشي (الزركشي، ٢٣٤/٤) و السيوطي في معترك الأقران (السيوطي، ٥٩٦/١) مثلاً لهذا المعنى أي الظرفية هو قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ (النازعات، ١٨) و أورد السيوطي شاهداً آخر هو قوله تعالى: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (أنعام، ١٢)

و لـ (إلى) بمعناها الظرفية دور في الإبداعات البيانية فنذكر بعضها في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَ لَا مُسْتَأْنَسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ وَ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ﴾ (الأحزاب، ٥٣) فالشأن في هذا الفعل اذا كان بمعنى الإباحة أن يعدي بحرف الوعاء، و لا يعدي بـ (إلى) إلا اذا كان بمعنى الاستماع. جاء في القاموس المحيط: « و أذن له في الشيء كسمع إذنا بالكسرو أذينا: أباحه له، و استأذنه: طلب منه الاذن، و أذن إليه و له كفرح: استمع » (الفريوزآبادي، ١٢٧/١)

يبدو أن العدول عن حرف الظرفية إلى حرف الانتهاء، قصد به توجيه أنظار المسلمين حين يدعون إلى مائدة الرسول عليه السلام أن ينصرفوا إلى ما دعوا إليه، لا يلبون على شيء، و لا يتجهون بأبصارهم إلى غيره، تأديبا بأداب الاسلام، يؤيد ذلك سياق الآية و أسباب نزولها (الجاوي، ٢/صص ١٨٧ و ١٨٨ و الواحدي، ص ٢٤٣) من كراهية الرسول لأفعال بعض أصحابه الذين أثقلوا عليه، و لم يراعوا أوقات راحته، و ما توجه آداب الضيافة من احترام مشاعر المضيف و عدم مضايقته، و هو الذي أفصح عند القرآن بقوله ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحِي﴾

منكم ﴿ و نزل على أثره امر الله بفرض الحجاب على نساءه عليه السلام ﴿ و إذا سألتموهن متاعاً فأسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم و قلوبهن ﴿ و ليس في تعدية الفعل بحرف الوعاء هذا المعنى الذي ألمحت إليه (إلى).

الثاني: (إلى) مكان (اللام):

قد استخدمت (إلى) ٢١ مرة بمعنى الاختصاص و التعليل في القرآن الكريم و الإختصاص أحد معانيها المجازية. جعلها الفراء بمعنى (اللام) في قوله تعالى: ﴿ وَ أَحْبَبُوا إِلَى رَبِّهِمْ ﴾ (هود، ٢٣) و معنى الآية عنده (تخشعوا لربهم و إلى ربهم) لأن العرب تجعلها في موضع (اللام)، و دليله على ذلك قوله تعالى: ﴿ بَانَ رَبُّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ (الزلزلة، ٥) و ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾ (الأعراف، ٤٣) و ﴿ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ (النساء، ١٧٥) و ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ ﴾ (إبراهيم، ١٣) و بهذه الآيات دلت الفراء على تداخل معنى اللام في الحروف الأخرى (الفراء، ٩/٢). و أسند أبو حيان إلى الرماني أنه يراها بمعنى (اللام) في قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ (آل عمران، ٥٢)، و ذكر أن الفارسي قدرها (لله) و هي بمعنى (اللام) في قوله تعالى: ﴿ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ﴾ (الأحقاف، ٣٠) لتقديرهم (إلى الحق) — (للحق). (أبو حيان، ٤٧١/٢) و مثال جعلها موافقة للام عند الزركشي (الزركشي، ٢٣٤/٤) و السيوطي في معترك الأقران (السيوطي، ٥٩٧/١) قوله تعالى: ﴿ وَ الْأَمْرُ إِلَيْكَ ﴾ (النمل، ٣٣) و جعلها الزركشي موافقة للام في قوله تعالى: ﴿ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (يونس، ٢٥) و أما في نيابة (إلى) عن اللام في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَحْبَبُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (هود، ٢٣) يظول ابن منظور: «و أحببت إلى ربه أي اطمأن إليه. و روي عن مجاهد في قوله تعالى: ( و بشر المختبين ) قال: المطمئنين، و قيل: هم المتواضعون، و كذلك قال تعالى: ( و أحببتوا إلى ربهم ) أي تواضعوا، و قال الفراء: أي تخشعوا لربهم، قال: و العرب تجعل (إلى) في موضع (اللام)، و فيه خبئة أي تواضع و أحببت لله: خشع، و أحببت: تواضع، و كلاهما من الخبت، و في التزليل العزيز: ( فتخبت له قلوبهم ) « (ابن منظور، ١٠٨٧/٢) و بتتبع ما قاله ابن منظور نجد أن (أحبت) حين يعدى بـ (إلى)، يدل على الاطمئنان، و هو مما يوصل بـ (إلى)، و هذا يعني أنه وجد سكنه و راحتته في الركون إليه، و حين يعدي بـ (اللام) فانه يدل على التواضع و الخشوع، و هو مما يوصل باللام. و عليه جاء قوله تعالى: ﴿ وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ (حج، ٥٤) على غرار قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَ مَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (حديد، ١٦) أما لماذا عدى الفعل بـ (إلى) في سورة هود، و بـ (اللام) في الحج؟! فهو ما يجيب عليه السياق في الآيتين. الآية الاولى (هود، ٢٣) جاءت بعد وعيد الله تعالى للصادقين عن سبيل الله، الذين يبغونها عوجاً ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَهَا عِوَجًا وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (هود، ١٩) فلما نعى القرآن على هؤلاء الصادقين جاء في مقابلتهم بامتناد المؤمنين الذين استقامت و جهتهم إلى الله تعالى، فلم يستطع الصادقون عن سبيل الله أن يحولوهم عن جهتهم و استواء قصدهم إلى ربهم أو يحولوا بينهم و بين الوصول إليه، و الايواء إلى كنفه، و ذلك ما يعبر عنه حرف انتهاء الغاية. أما الثانية (الحج، ٥٤) فقد جاءت اثر الحديث عن الفتنة التي يلقي بها الشيطان في نفوس الضعفاء ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ (حج، ٥٣) و في مقابل مرضى القلوب

فريق آخر من الذين أوتوا العلم يرى ما أنزل الله هو الحق فتحشع له قلوبهم و تخضع لأمره و تنقاد لحكمه (فتخبت له قلوبهم) و اللام دالة فيه على إسلام قلوبهم لرّبهم و اختصاصه بالخضوع له.

و من روائع النظم الكريم في استخدام الحروف - و كله رائع آخذ بمجامع القلوب - قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (الأنعام، ١٢). قال أبوحيان: « وقد تكون (إلى) هنا بمعنى اللام، أي ليوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ » (أبوحيان، ٨٢/٤) و لكنى أظن أنه ليس منطقياً أن يوضع حرف اللام لمعنى و يضع حرف (إلى) رسالته على عاتقه و يؤدّي دوره في الآية، فعلينا أن نكشف اللطائف الحاصلة من المعنى الاصلى لحرف (إلى) حتّى نزيل الغوامض عن استخدام هذا الحرف. فليس (إلى) نائباً عن اللام و لا مرادفاً له و الجمع يتعدى باللام للدلالة على الغرض من الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (آل عمران، ٩) و يتعدى بـ (إلى) للدلالة على انتهائهم إلى ما ينتظرهم من الحساب و الجزاء. و لكل موضعه و سر اثاره. و ها هنا عدى الفعل بـ (إلى) بعد قوله ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ اشارة إلى أن تأخير الله العذاب و عدم تعجيل العقوبة إلى هذا اليوم، هو من رحمة الله تعالى، حتّى يتيح الفرصة لمراجعة النفس والعودة إلى الله: ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا ﴾ (الكهف ٥٨/١٨)

### الثالث: (إلى) مكان (مع):

استخدمت (إلى) عشر مرات بمعنى المصاحبة في القرآن الكريم و هي إحدى معانيها المجازية. أجاز الفراء (٢١٨/١) و ابن قتيبة (ص ٥٧١) و الزجاج (٤٢١/١) و الطبري (٢٩٩/١) و (٤٤٣/٦) و الأمدى (٨٥/١) و الطوسي (٥٩٦/٩) و الطبرسي (٤٤٧/٢) أنّها تكون بمعنى (مع) في قوله تعالى: ﴿ مَن أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ (آل عمران، ٥٢ و الصف، ١٤) لتقديرهم قوله: (إلى الله) بـ (مع الله) و ابن جني نقل عن المفسرين قائلاً: « ومنه قول المفسرين في قوله تعالى: ﴿ مَن أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ أي مع الله، ليس أنّ (إلى) في اللغة بمعنى (مع)، و إنما جاز هذا التفسير في هذا الموضع لأنّ النبي إذا كان له انصار فقد انضموا في نصرته إلى الله فكأنه قال: مَن أنصاري منضمين إلى الله. » (ابن جني، ٢٦٣/٣ و ٣٠٩) و أجاز ابن قتيبة (ص ٥٧١)، و الطوسي (٥٩٦/٩)، و الطبرسي (٤٤٧/٢) أن تكون بمعنى (مع) في قوله تعالى: ﴿ وَ لَّا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ﴾ (النساء، ٢) أي مع أموالكم. و ذكر الطبري أنّ (إلى) بمعنى (مع) في قوله تعالى: ﴿ وَ إِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ (البقرة، ١٤) و قدر معنى (إلى شياطينهم) بـ (مع شياطينهم). (الطبري، ٢٩٩/١)

و تأمل قوله تعالى مخاطباً الأوصياء على اليتامى: ﴿ وَ ءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَ لَّا تَبَدَّدُوهَا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَ لَّا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ﴾ (نساء، ٢) كيف يؤدي القول بدلالة (إلى) على المصاحبة إلى إفساد أغراض النظم! فالله يأمر الأوصياء باعطاء اليتامى أموالهم حين يأنسون منهم الرشد، و لكي تعود إلى اليتامى حقوقهم كاملة نهي أن يأخذ الأوصياء منها ما يضيفونه إلى أموالهم مادامت لهم أموال يستغنون بها في معاشهم و الأكل هنا مجاز عن اذاعة أموال اليتامى، و ليس حقيقة الأكل منها كقوله تعالى: ﴿ وَ لَّا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ (البقرة،

و لو كانت (مع) بدلا من (إلى) لفهم منه أنه نهي عن اضاءة أموال اليتامى مع أموال الأوصياء و لا يشمل النهي عن أخذ مال اليتيم و اضافته إلى مال الوصي بما يفيد أكل مال اليتيم فحسب، و هو المقصود من النهي ابتداء. و بناء على ذلك فإنّ (إلى) هي التي تحقق الغرض من النهي عن الأخذ من أموال اليتامى و الانتهاء بها إلى أموالهم، و كأنّ المعنى: لا تأكلوا أموالهم و تضيعوها باضافتها إلى أموالكم، و في ذلك من التشجيع على الأكل و تفضيح جريمته ما فيه، حيث تبرزه (إلى) في صورة معتصب لمال اليتيم المؤمن عليه في وقت ليس هو فيه محتاجا إلى ما اغتصبه، بعد أن أغناه الله بماله عنه، ثم هو شره يريد تكثير أمواله و زيادتها عن طريق ظلم الضعفاء ممن استودعوا أمانته، لذلك لم يكتف بقوله (و لا تأكلوا أموالهم) حتى قال (إلى أموالكم) زيادة في النعي على أكل مال اليتيم من الأغنياء. و لا أظن يكون (إلى) بمعنى المصاحبة على ما ذهب إليه الزمخشري في الكشاف: «و لا تنفقوها معها، و حقيقته: و لا تضموها إليها في الانفاق، حتى لا تفرقوا بين أموالكم و أموالهم، قلة مبالاة بما لا يحل لكم، و تسوية بينه و بين الحلال» (الزمخشري، ٤٩٥/١) لأن صورة الوصي اذا كانت قبيحة حين ينفق مال اليتيم مع انفاقه ماله، انها أقبح و أظفح حين يستولي على مال اليتيم لينتهي به إلى ماله، و هو ما قصده النظم الكريم، فالماكول الضائع هو مال اليتيم وحده. و ما قاله الزمخشري في المفصل لا يطابق ما قاله في الكشاف، قال في المفصل: «و كونهما بمعنى المصاحبة في نحو قوله ( و لا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) راجع إلى معنى الانتهاء» (همان، ص ٢٨٣) اذ أن الانتهاء يفضى إلى جمع أموال اليتامى و اضافتها إلى أموالهم لا إنفاقها معها و قال ابن يعيش: «لما كان معنى الأكل ها هنا الضم و الجمع، لا حقيقة المضغ والبلع عداه بـ (إلى)، اذ المعنى: لا تجمعوا أموالهم إلى أموالكم» (ابن يعيش، ١٥/٨).

#### الرابع: (إلى) مكان (على):

قد استخدمت (إلى) مرتين بمعنى الاستعلاء في القرآن الكريم و هي إحدى معانيها المجازية. ذكر لها هذا المعنى الألوسي لما أورد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ (بقره، ٢٩) و قد قدرها (أي علًا إليها و ارتفع)، فاقضى عنده أن تكون (إلى) بمعنى (على) و تصدي الألوسي لرأي البعض الذين يجعلون (استوى) بمعنى (استولى) و وضعفه، لأنه خروج بالحرف عن معناه الأصلي دون مقتض، و لأن الاستيلاء على الشيء يقتضي سبق وجوده، و السماء لم توجد بعد، بدليل عطف ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ عليه بالفاء. (الألوسي، ٢١٥/١) و حين يعدي بـ (على) يكتسب من الاستعلاء فيها معنى الاستيلاء على الشيء كما في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه، ٥). على أن استواء الله إلى السموات ليس استواء الذات و إنما استواء التدبير و هو ما أفاده الراغب في قوله: «و متى عدى بـ (إلى) اقتضى معنى الانتهاء إليه اما بالذات و إما بالتدبير، و على الثاني قوله ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾» (الراغب، ص ٣٦٦)

#### الخامس: (إلى) مكان (الباء) و معناها الالتصاق:

قد وردت (إلى) مرتين بمعنى الباء في القرآن الكريم و هي إحدى من معانيها المجازية. ذكر لها هذا المعنى الزركشي لما أورد قوله تعالى: ﴿وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنًا وَ إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ (بقره، ١٤) و يرى أن ضمن (خَلَوْا) معنى (ذهبوا) أو (انصرفوا) و يجعل التضمين أولى من جعل (إلى) بمعنى (الباء) أو بمعنى (مَعَ). (الزركشي، ٣٣٩/٣) و قال الطبري: «و أما بعض نحوى الكوفة فانه كان يتأول أن ذلك بمعنى (و اذا لقوا

الذين آمنوا قالوا آمنا) و اذا صرفوا خلاءهم إلى شياطينهم، فيزعم أن الجالب لـ (إلى) المعنى الذي دل عليه الكلام من انصراف المنافقين عن لقاء المؤمنين إلى شياطينهم خالية بهم، لا قوله (خلوا)، و على هذا التأويل لا يصلح في موضع إلى غيرها لتغير الكلام بدخول غيرها من الحروف مكانها. و هذا القول عندني أولى بالصواب، لأن لكل حرف من حروف المعاني وجها هو أولى به من غيره « (الطبري، ١٣٠/١-١٣١)

و قال الأخفش عنها: «فإنك تقول: خلوت إلى فلان في حاجة، كما تقول خلوت بفلان. إلا أن خلوت بفلان له معنيان. أحدهما هذا و الآخر سخرت به» (الأخفش، ٤٦/١) و الراغب فرق بين التعديتين بما يحقق معنى الحرف المعدي به قال: « و خلا فلان بفلان: صار معه في خلاء، و خلا إليه: انتهى إليه في خلوة» (الراغب، ٢٢٦) و انطلاقاً من قول الراغب، فإن تعدي الفعل بالباء اكتسب من معنى المصاحبة فيها دلالة على الانفراد به، و (إلى) خلعت من معناها عليه ما دل على قصده و الانتهاء إليه، و كشفت في الآية عن دخائل نفوس المنافقين و غايتهم، و انصراف قصدهم إلى لقاء إخوانهم من الشياطين، بما يدل على أنهم خرجوا من أجله، و هو وجهتهم الحقيقية. يدل ذلك على ذلك تعبير القرآن في جانب المؤمنين ﴿ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فهو لقاء لم يقصد إليه، و إنما هو لقاء فرضته الطريق، و دفعت إليه المصادفة. و تعبيرهم في جانب إخوانهم ﴿ إِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ تدل فيه (إلى) على أنه هدفهم الذي توجهوا إليه. و ذلك يتناغم مع رغبتهم الكامنة في نفوسهم، و التي دل عليها تعبيرهم بالجملة الإسمية، و تأكدها بان في قوله ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ في حين فضحهم تعبيرهم في دعواهم الايمان فجاءوا بالجملة الفعلية (آمتاً) خلوا من التأكيد، مما يدل على أن نفوسهم لم تطاوعهم كما طاوعتهم في خطايمهم لإخوانهم. و لو جاء التعبير: (خلوا بشياطينهم)، لما أفاد غير الإفراد بهم، و لضع غرض النظم من الكشف عن توجههم النفسي، و وحدة الغاية التي تربطهم بخلقاتهم.

## نتائج البحث

١. أن الحروف في معانيها الأصلية أكثر استعمالاً في القرآن الكريم من معانيها المجازية و هذا للدليل على صحة اختيار النحويين في تفضيل المعاني الأصلية لأنهم قائلون بكثرة استعمال المعاني الأصلية.
٢. إن تطابق استخدام الحروف في القرآن الكريم مع القواعد النحوية و توظيفها توظيفا دقيقا من ناحية كثرة دخولها، هو دليل على إعجاز هذا الكتاب السماوي.
٣. لا بد للباحث أن يعدد البحث عن تداخل الحروف بعضها مكان بعض أو القول بزيادتها تمهيدا للكشف عن اللطائف و النكت البلاغية الحاصلة من المعاني الأصلية للحروف في القرآن الكريم.
٤. إن أهم ما وصل إليه البحث من نتيجة هو إثبات عدم استخدام حرف بدل الاخرى في القرآن الكريم، لأنه تبين لنا من دقة النظر في غرض الآيات و الامعان في استخدام الألفاظ و دراسة ما قبلها و ما بعدها، أن الحروف لم تُستعمل بعضها بدل الأخرى لأنه لا يبدو منطقياً أن توضع حرفاً لمعنى و تؤدي رسالتها حرف آخر للدلالة على معناها في العبارات خاصة في الكلام البليغ.

## المصادر و المراجع

- القرآن الكريم
- الآلوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، تحقيق زهري النجار، القاهرة، دار القومية العربية، ١٩٦٤ م.

- الأمدى، سيف الدين أبو الحسن علي، الأحكام في أصول الأحكام، القاهرة، دارالعاصمة، ط ٢، دون تاريخ.
- ابن جني، عثمان، الخصائص، تحقيق محمد على النجار، بيروت، دارالكتب العربي، ط ١، ١٩٥٢ م.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، شرح و تحقيق أحمد صقر، دار التراث، ١٩٧٣ م.
- الأخفش الأوسط، ابوالحسن سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تحقيق فائز فارس، الكويت، المطبعة العصرية، ط ١، ١٩٧٩ م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨ م.
- ابن يعيش، شرح المفصل، بيروت، عالم الكتب، دون تاريخ.
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط، مطبعة السعادة، ط ١، ١٣٢٨ هـ.
- أبو عبيدة، معمر بن المنني التيمي، مجاز القرآن، تعليق محمد فواد سزكين، نشر الخانجي، ط ١، ١٩٥٤ م.
- الجاوي، محمد نووي، التفسير المنير لمعالم التنزيل، دار مصطفى الحلبي، ط ٣، ١٩٥٥ م.
- خليفة راشد، صادق، دور الحرف في اداء معنى الجملة، بنغازي، منشورات جامعة قارونس، ١٩٩٦ م.
- الراغب الإصهاني، حسين بن محمد، المفردات، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، دون تاريخ.
- الزجاج، ابراهيم بن سري، معاني القرآن و إعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلي، بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٩٨٨ م.
- الزجاجي، ابوالقاسم، حروف المعاني، تحقيق على توفيق الحمد، الأردن، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤ م.
- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، نشر الباي الحلبي و شركاه بمصر، ط ٢، ١٩٧٢ م.
- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت، دارالمعرفة، ١٩٧٢ م.
- .....، المفصل، بيروت، دارالجيل، ط ٣، دون تاريخ.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت، عالم الكتب للطباعة، دون تاريخ.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتيقان في علوم القرآن، القاهرة، نشر مصطفى الباي الحلبي، ط ٣، ١٩٥١ م.
- .....، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق على محمد البجاوي، دارالفكر العربي، ١٩٦٩ م.
- الطبرسي، ابو على فضل بن حسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، طهران، المطبعة الإسلامية، ١٣٩٥ هـ.
- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تفسير القرآن، تحقيق محمود شاكر، القاهرة، دارالمعارف، ١٩٦٠ م.
- الطوسي، ابو جعفر بن محمد، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب العاملي، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٩ هـ.
- فاضلي، محمد، دراسة و نقد في مسائل بلاغية هامة، مشهد، نشر جامعة فردوسي، ١٣٧٦ هـ.ش
- الفراء، ابو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق محمد على النجار، القاهرة، الدار المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٨٠ م.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٤١٢ هـ.
- المخزومي، مهدي، مدرسة الكوفة و منهجها في اللغة و النحو، مصر، دار مصطفى الباي الحلبي، ط ٢، ١٩٥٨ م.
- المرادي، الحسن بن قاسم، الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل، بيروت، دار الإفاق الجديدة، ط ٢، ١٩٨٣ م.
- الواحدي، أبو الحسن، أسباب النزول، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٩٧٥ م.



# رویکردی به لطائف حرف جر (الی) در قرآن کریم

بهنوش اصغری

دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی - دانشگاه تربیت مدرس

دکتر محمد فاضلی

استاد گروه زبان و ادبیات عربی - دانشگاه فردوسی مشهد

دکتر کبری روشنفکر

استادیار گروه زبان و ادبیات عربی - دانشگاه تربیت مدرس

## چکیده

نحویان بحث‌های فراوانی در باره کاربرد حروف جر با افعال، کرده‌اند که محور تمام آنها پاسخ به این پرسش می‌باشد: آیا هر فعل همواره با یک حرف جر خاص به‌کار می‌رود یا آنکه بر حسب مقتضای معنایی می‌تواند با دیگر حروف جر هم به‌کار رود؟! البته هدف نهایی این گونه مباحث بیان اسلوب‌های بلاغی و اغراض بیانی حروف جر در قرآن کریم، آشکار نمودن میزان تأثیر قرآن در قریحه عربی، همچنین شناسایی شیوه‌های اسلوبی بهتر و روش‌های تعبیری زیباتر در قرآن به منظور درک اعجاز بیانی قرآن کریم، بوده است.

حرف جر «الی» ۷۴۷ بار در قرآن به کار رفته است که یک بار آن زائده و برای تأکید می‌باشد و ۷۰۲ مرتبه در معنای اصلی آن یعنی (انتهای غایت)، ۱۰ مرتبه در معنای مصاحبت (مع)، ۲۱ مرتبه در معنای اختصاص (لام)، ۴ مرتبه در معنای تبیین و ۵ مرتبه در معنای ظرفیت (فی) و دو مرتبه در معنای برتری (علی) و دو مرتبه در معنای الصاق (الباء) به کار رفته است.

دقت در مفهوم اصلی آیات و واژه‌های آن، حتی آیات قبل و بعد، نشان می‌دهد که هیچ حرفی به جای حرف دیگر به‌کار نرفته است زیرا منطقی به نظر نمی‌رسد که وقتی حرفی برای معنایی خاص وضع شده، حرف دیگری رسالت ایفای معنای آن را بر عهده بگیرد!

**کلید واژه ها:** قرآن کریم، حروف جر، الی